مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(عبرانيين ١١: ٩–١٠؛ ١١: ٣٢–٤٠)

يا إخوةُ بالإيمانِ نزلَ إبرهيمُ في أرضِ الميعاد
نزولَه في أرضٍ غريبةٍ وسكنَ في خيامٍ مع إسحق ويعقوبَ الوارثَيْنِ معهُ للموعدِ بعينه* لأنَّهُ انتظرَ المدينةَ ذاتَ الأُسُسِ التي اللهُ صانعُها وبارئُها* وماذا أقولُ أيضاً. إنَّهُ يضيقُ بي الوقتُ إن أخبرتُ عن جدعونَ وباراقَ وشمشونَ ويفتاحَ وداودَ وصموئيلَ والأنبياءِ* الذين بالإيمانِ قهَروا الممالكَ وعملوا البرَّ ونالوا المواعِد وسدُّوا أفواهَ الأُسود* وأطفأوا حدَّةَ النارِ ونَجَوا من حدِّ السيفِ وتقوَّوا من ضُعفٍ وصاروا أشدَّاء في الحرب وكسروا معسكراتِ الأجانب* وأخذتْ نساءٌ أمواتَهنَّ بالقيامة. وعُذِّبَ

مدينة الله

منذ القديم اعتقد الإنسان أنّه بحاجة لإقامة مكان معيّن على الأرض للقاء إلهه، فابتدأ بإقامة المذابح على رؤوس الجبال أو تحت الأشجار. أمّا في المدن الغنيّة فقد أنشأ هياكل اعتبرها المكان المثالي للقاء الآلهة. غير أنّ مفهوم المكان تخطّى الهيكل ليشمل المدينة فاعتُبرت المدينة نفسها مدينة الإله. هذا الأمر حدث أيضاً مع الشعب اليهودي، كونه اعتقد، مثل باقي الشعوب، أنّ الله بحاجة لمكانٍ أرضيّ ليسكن فيه. غير أنّ الله لا يسكن في هياكل مصنوعة بالأيدي، كما يقول الكتاب (أع ٧: ٢٤). هذا ما فهمه رجال الله في العهد القديم وحاولوا نقله إلى الناس حتى لا يتعلّقوا بالأرضيّات بل ينتظروا الرب من السماء، الذي أتى إلينا في آخر الأزمنة وعلّمنا أن قلوبنا هي مكان سكناه.

الإنسان، كونه مخلوقاً، يسعى دائماً إلى المحسوسات، يريد أن يرى ويلمس، كما فعل توما، حتى يؤمن، ينتظر أعجوبة أو رؤيا، فعلاً أو ظهوراً إلهيين لذلك سعى الإنسان منذ القديم إلى تصوير الإله، من خلال صنع التماثيل والصور لإلهه، وبنى الأماكن المقدّسة التي اعتقد أن إلهه يحب أن يسكن فيها، فيأتي في الوقت المناسب إليها ليلتقي بإلهه ويقدّم الذبائح. لا بل اعتقد أنّه كما الملك بحاجة إلى مدينة حصينة يبسط فيها سلطته على الشعب، هكذا الله أيضاً بحاجة إلى مدينة يحكم فيها شعبه، لذلك اتخذوا أورشليم مدينة له، فأصبحت «مدينة الله». غير أن الله إلهنا أظهر لنا في العهد القديم، ومن خلال أنبيائه وقضاته وخدّامه، أنه لا يسكن في مكان معيّن دون سواه، فإنّ له الأرض وكلّ ما فيها: «للرب الأرض وملؤها، المسكونة وكل الساكنين فيها» (مز ٢٤:١).

لقد خلق اللهُ الإنسانَ على صورته ومثاله، لكنّ الإنسان، وبسبب تكبّره، لم يعد يرى خالقه عندما ينظر إلى نفسه، بل أصبح يرى نفسه إلهاً، وأصبح يرى الأمور من خلال مخلوقيّته، أي أصبح يتوسّل المخلوق ليصل إلى الخالق. غير أنّ الله لمحبّته للبشر لم يترك أبداً خليقته بل سعى لإعادة الإنسان إلى الطريق الحقيقيّة التي تؤدّي إليه، وقد علمنا ذلك من

العدد ٢٠١٣/٥١

الأحد ٢٢ كانون الأول

الأحد قبل الميلاد

تذكار القديسة المعظمة في الشهيدات أنسطاسيا

اللحن الأول

إنجيل السَحَر الرابع

آخرونَ بتوتيرِ الأعضاءِ والضربِ ولم يقبَلوا بالنجاةِ ليحصُلوا على قيامةٍ أفضل* وآخرونَ ذاقوا الهُزءَ والجَلْدَ والقُيودَ أيضًا والسِّجن* ورُجموا ونُشروا وامتُحنوا وماتوا بحدِّ السيفِ وساحوا في جُلودِ غَنَمٍ ومَعِزٍ وهم مُعوَزون مُضايقون مجهودون* ولم يكن العالمُ مستحقًّا لهم. وكانوا تائهينَ في البراري والجبالِ والمغاورِ وكهوفِ الأرض* فهؤلاءِ كلُّهم مشهودًا لهم بالإيمانِ لم ينالوا المواعِدِ* لأنَّ اللهَ سبقَ فنظرَ لنا شيئًا أفضَلَ أن لا يكملوا بدونِنا.

الإنجيل

(متى ١:١-٢٥)

كتابُ ميلادِ يسوعَ المسيحِ ابنِ داودَ ابنِ إبرهيمَ* فإبرهيمُ وَلَدَ إسحقَ وإسحقُ وَلَدَ يعقوبَ ويعقوبُ وَلَدَ يهوذا وإخوتَهُ، ويهوذا وَلَدَ فارَصَ وزارَح من تامارَ، وفارَصُ وَلَدَ

خلال أنبيائه الذين رأوه، ولكنّهم استعملوا الصور الحسيّة لينقلوا لنا صورة الله الحقيقيّة، لأنهم عرفوا أنّه لا يمكننا أن ندرك الأمور إلاّ من خلال ما هو حسّيّ. فالنبيّ أشعياء عندما رأى الله نقل لنا صورته كملك يجلس على العرش، ولكنّه، ولكي يظهر لنا كيف أنّ العرش لا يمكن أن يضبط الخالق قال إنّ مجده يملأ كلّ الأرض: «... رأيتُ السيّد جالساً على كرسيّ عالٍ ومرتفعٍ وأذياله تملأ الهيكل، السيرافيمُ واقفون فوقه ... وهذا نادى ذاك وقال قدوسٌ قدوسٌ قدوسٌ ربُّ الجنودِ مجدُه مِلءُ كلِّ الأرض» (٦: ١-٣). والنبيّ إرمياء علّمنا كيف أن الله لا يحتاج إلى هيكل ومدينة، فالإنسان نفسه هو هيكله ومدينته، إذ إنّ الله جعل منه مدينة حصينة: «أمّا أنت فمنطِقْ حَقْوَيْكَ وقُمْ وكلِّمهم بكلِّ ما آمرُك به... هأنذا قد جعلتُك اليومَ مدينةً حصينةً وعمودَ حديدٍ وأسوارَ نُحاس على كلِّ الأرض لِملوكِ يهوذا ولرؤسائها ولِكهنتها ولشعبِ الأرض، فيُحاربونَك ولا يقدِرون عليك لأنّي أنا معك يقول الربُّ لأُنقِذَكَ» (١: ١٧-١٩). أمّا النبيّ حزقيال فاستخدم صورة العرش المتنقّل والملائكة الذين يحرّكونه ليقول لنا ان الله لا ينحصر في مكان معيّن بل هو حاضر في كلّ مكان (إصح ١).

مع هذا كلّه ظلّ الإنسان بحاجة إلى الأشياء المحسوسة ليعبّر عن علاقته مع الله من دون أن يتوقّف عندها. فأصبحت مثلاً أورشليم، التي كانت تُعتبر مدينة الله الأرضيّة، رمزاً لمدينة الله العلويّة التي اصبحت «أورشليم العلوية» التي يصوّرها حزقيال على أنها مدينة من نوع آخر ويطلق عليها اسماً جديداً هو «الربّ هناك» (حزقيال ٤٨). وأصبحت الكنيسة، أي المكان الذي يلتقي فيه المؤمنون ليتّحدوا بالله من خلال المشاركة في جسد الربّ ودمه، رمزاً لملكوت السموات حيث نجلس نحن المؤمنين على مائدة الربّ مع كلّ القديسين.

ربّ قائل لماذا إذاً نبني الكنائس ونزيّنها بما أن الله ليس بحاجة إليها ليسكن فيها؟ في الواقع ليس الله بحاجة إلى الكنائس بل نحن، فلا بدّ من مكانٍ يلتقي فيه المؤمنون للمشاركة في عشاء الرب، وقد ابتدأ الأمر في بيوت المؤمنين. ولمّا لم تعد البيوت تسع الناس ابتدأوا بإنشاء الأماكن الخاصّة التي أطلقوا عليها اسم «الكنيسة»، والتي تعني الجماعة المدعوّة إلى لقاء الله. ونحن المؤمنين نعتني بالكنائس ونزيّنها لتظهر بأبهى حلّة ليس لأن الله يريد ذلك، ولكنّنا لا نستطيع أن نقدّم لله إلاّ الأفضل والأجمل والأبهى لنعبّر بذلك عن شكرنا له على محبّته القصوى لنا: «ولكنّ الله بيّن محبّته لنا لأنّه ونحن بعد خطأة مات المسيح لأجلنا» (رومية ٥: ٨).

هيكل الله الحقيقي إذاً ليس مكاناً حسّيًّا نذهب إليه لنلتقي بربّنا، بل هو المؤمنون أنفسهم: «أَما تعلمون أنّكم هيكل اللهِ وروحُ اللهِ يسكن فيكم؟ إن كان أحدٌ يُفسِدُ هيكلَ اللهِ فسيُفسِده اللهُ لأنَّ هيكلَ اللهِ مقدَّسٌ الذي أنتم هو» (١ كور ٣: ١٦-١٧). ومدينة الله حيث يملك ليس مدينة أرضيّة، بل هي مدينة سماوية من صنع الله نفسه، إنّها ملكوت الله الذي فينا نحن المؤمنين: «لا يأتي ملكوتُ اللهِ بمُراقبةٍ، ولا يقولون هوذا ههنا أو هوذا هناك، لأن ها ملكوتُ اللهِ داخِلَكم»(لو١٧: ٢٠-٢١).

إنّ الربّ بتجسّده بشكل حسّي أراد أن ينقلنا إلى ما هو أبعد، فكما حلّ بيننا على الأرض أراد أن ينقلنا إلى

حصـرونَ وحصـرونُ وَلَـدَ أَرام، وأرامُ وَلَدَ عَمّينـاداب وعَمّينـاداب وَلَدَ نَحْشونَ ونَحْشونُ وَلَدَ سَلْمونَ، وسلمونُ وَلَدَ بُوعَزَ من راحابَ وبُوعَزُ وَلَدَ عوبيدَ من راعوثَ وعوبيدُ وَلَدَ يسَّى ويسَّى وَلَدَ داوُدَ الملك* وداوُدُ الملكُ وَلَدَ سليمانَ مِنَ التي كانت لأُريَّا، وسليمانُ وَلَدَ رَحَبْعامَ ورَحَبْعامُ وَلَدَ أبيَّا وأبيَّا وَلَدَ آسا* وآسا وَلَدَ يوشافاطَ ويوشافاطُ وَلَدَ يورامَ ويورامُ وَلَدَ عُزِّيَّا، وعُزِّيَّا وَلَدَ يوتامَ ويوتامُ وَلَدَ آحازَ وآحازُ وَلَدَ حِزقِيَّا، وحزقِيَّا وَلَدَ مَنسَّى ومَنسَّى وَلَدَ آمونَ وآمونُ وَلَدَ يوشيَّا، ويوشيَّا وَلَدَ يَكنيَّا وإخوتَهُ في جلاءِ بابل* ومن بعد جلاءِ بابل يَكُنيَّا وَلَدَ شألتَئيلَ وشألتَئيلُ وَلَدَ زَرُبابِلَ، وزَرُبابِلُ وَلَدَ أبيهودَ وأبيهودُ وَلَدَ أَلِياقيمَ وأَلِياقيمُ وَلَدَ عازورَ، وعازورُ وَلَدَ صادوقَ وصادوقُ وَلَدَ آخيمَ وآخيمُ وَلَدَ أَلِيهودَ، وأَلِيهودُ وَلَدَ أَلِعازارَ وأَلِعازارُ وَلَدَ مَتّانَ ومتّانُ وَلَدَ يعقوبَ، ويعقوبُ وَلَدَ يوسفَ رجلَ مريمَ التي وُلِدَ منها يسوعُ الذي يُدعى المسيح* فكلُّ الأجيال من

ملكوته السماوي، إلى مدينة الله الحقيقيّة التي من صنعه هو لا من صنع أيدي البشر، هذه المدينة التي ننتظر، كما الذين سبقونا، أن نلتقي فيها مع الرب في اليوم الأخير: «بالإيمانِ تغرَّبَ في أرضِ الموعدِ كأنَّها غريبةٌ، ساكِناً في خِيامٍ مع إسحقَ ويعقوبَ الوارثَينِ لهذا المَوعِدِ عينِهِ، لأنَّه كان ينتظرُ المدينةَ التي لها الأساساتُ التي صانِعُها وبارِئُها الله» (عب ١١: ٩-١٠).

من وحي الميلاد

تتمحور الأديان حول فكرة واحدة وهي أن هناك إلهاً عظيماً على عرشه في السماء وأن هذا الإله قد أعطى الإنسان الشريعة، أنزل مجموعة من الوصايا والأحكام والقوانين التي تحكم العلاقة بين الخالق والمخلوق، توضح ما هو محرَّم وما هو مباح. هذه الشريعة، حسبما تقول الأديان، هي بمثابة خارطة الطريق التي تقود إلى الفردوس، وهي السلّم التي تربط الإنسان بالإله. حياة الإنسان في هذه الأديان هي صراع مرير: إفعل كذا، اترك كذا... حياة بشر يحاولون أن يحفظوا الشريعة، أن يستلطفوا الإله بأفعالهم، وكأنّهم يحاولون شراء لطفه وكسب ودّه وإخماد غضبه. ولكن كيف للإنسان أن يصل إلى السماء ويخترق الهوة التي تفصله عن الإله؟ فالطريق إلى هناك طويل، والارتفاع شاهق ومخيف، والإنسان مهما بذل من جهد، مهما سما وارتفع وحلّق، يسقط من جديد، لأن الخطيئة لها جاذبية خاصة. وكلما سلك طريق التوبة، ترميه الخطيئة أرضاً من جديد. وكلما ظن أنه ارتفع، شدَّته إلى أسفل، إلى الحضيض.

هذا هو صراع الإنسان في الأديان: نريد أن نسمو، فنسهو، أن نحلق فنهوي، أن نعمل الخير الذي نريد، فترانا نعمل الشر الذي لا نريد (أنظر رو ٧:١٩). بالخطيئة إنفصل الإنسان عن الله وأضحى مهمشاً طريحاً غير قادر أن ينهض بنفسه من الهوة التي سقط فيها. وبدل أن تعترف الأديان بأن الإنسان مهما سما فلن يصل بقواه الذاتية إلى السماء، تراها تضع اللوم على الإنسان وتقول له: حاول أكثر، جاهد أكثر، صابر أكثر. حياة الإنسان في الأديان هي حياة محاولات فاشلة متتالية في حفظ الشريعة، لذلك تراه دائماً يخاف الديّان، يخاف الخالق، يخاف الله. ديانته هي ديانة خوف وقلق وصراع مرير، ولأنه يخاف من الله تراه يخاف من البشر أيضاً. تصبح ديانته تصنُّعاً: من الخارج تراه يلمع كالرخام، أما من الداخل فأسود كالفحم.

بشارة الميلاد هي رد على صراع الإنسان هذا. بشارة الميلاد هي أن أنظروا أية محبة أعطانا الله. الله في المسيحية لم يعطنا شريعة لنسلك بموجبها، بل أعطانا محبة، وأية محبة. الإنسان لم يستطع أن يرتقي بنفسه إلى الإله، لذلك شاء الله لكثرة محبته أن ينحدر إلى الإنسان. لقد أحب الله الإنسان حبًّا عظيماً، ولم يترك الإنسان في بؤسه وشقائه، بل انحدر إليه جاداً في البحث عنه. بشارة الميلاد هي هذا الإنقلاب العجيب، إذ بالميلاد لم يعد الإنسان يركض لاهثاً وراء الإله، بل صار الله يبحث عن الإنسان كعاشق يلحق بحبيبه أو كأب اشتاق لأبنائه.

التجسد، ولادة المسيح بالجسد، هو نتيجة المحبة العظيمة التي هي الله «لأن الله محبة» (١يو٤:٨). الإنسان لا يستطيع بعقله أن يستوعب ما حصل لحظة التدسد، لأن ما حصل

إبرهيمَ إلى داودَ أربعةَ عشرَ جيلاً ومن داودَ إلى جلاءِ بابل أربعةَ عشرَ جيلاً ومن جلاءِ بابلَ إلى المسيح أربعةَ عشرَ جيلاً* أمَّا مولدُ يسوعَ المسيحِ فكان هكذا: لمَّا خُطبتْ مريمُ أمُّهُ ليوسفَ وُجدتْ من قبلِ أنْ يجتمعا حُبلَى من الروح القدس* وإذ كان يوسفُ رجلُها صِدّيقًا ولم يُرِد أنْ يَشْهَرَها هَمَّ بتَخْليَتِها سرًّا* وفيما هو متفكرٌ في ذلك إذا بملاكِ الرب ظهَرَ لهُ في الحلم قائلاً يا يوسفُ ابنَ داود لا تخَفْ أنْ تأخذَ امرأَتك مريم. فإنَّ المولودَ فيها إنَّما هو من الروح القدُس* وستلِدُ ابناً فتُسمّيهِ يسوعَ فإنَّهُ هو يخلّصُ شعبَهُ من خطاياهم* وكان هذا كلُّهُ ليتمَّ ما قيل من الرب بالنبي القائل: ها إن العذراءَ تحبلُ وتلد ابنًا ويُدعى عمَّانوئيل الذي تفسيرُهُ الله معنا* فلمَّا نهض يوسفُ من النوم صنع كما أمره ملاكُ الرب فأخذ امرأته* ولم يعرفْها حتَّى ولدتِ ابنَها البكرَ وسمَّاهُ يسوع.

هو تعبير عن تلك المحبة، والمحبة لا تُستوعب بالعقل بل تسمو عليه، لذلك طفل المغارة يصرخ يا بني أعطني قلبك. لا تهمني أعمالك ولا تَدَيُّنك، بل أريدك أنت كما أنت. هذه هي بشارة الميلاد. فالتجسّد هو تعبير عن محبَّة الله الأزلية التي تجلّت بولادة طفل المغارة المخلّص. هذه المحبة هي القوة الوحيدة التي تستطيع أن تغيّرنا فنولد من جديد. ولادتنا الأولى هي ثمر محبة، محبة أرضية أبوية، أما ولادتنا الثانية فهي ثمر محبة أبوية سماوية. علاقة الإنسان بالله في المسيحية ليست علاقة شريعة وخوف بل محبة وتبنّي. أنظروا أية محبة أعطانا الله: كي ندعى أولاداً له طلّ علينا من خلال وجه طفل المغارة، لا ليجعل منا عبيداً بل أولاداً وورثته مع المسيح.

قد تبدو بشارة الميلاد بشارة متواضعة، قديمة، معروفة، ولكن ليست لنا بشارة أخرى. ما أحوجنا في هذه الأيام بالذات إلى أن نسمع ونفهم بشرى الميلاد من جديد. إذا نظرنا إلى العالم من حولنا نراه قد فَقَد رشده، فأصبح أولادنا مهددين بأفكار عقيمة بعيدة عن تعاليم ربنا. لقد تربت الأجيال على الخوف ونمت على الحقد وترعرعت على الكذب والنفاق. السياسة كذب والمجتمع نفاق. ما أن يولد أبناؤنا نسلّمهم (أو نسلّم أنفسنا) إلى عادات وتقاليد مجتمعنا الفاسد فيصبحون كلهم متشابهين.

لنحيَ إذاً هذه البشارة مجدداً، حيث أعمالنا ليست نتاج شريعة بل تعبير عن محبة، وأفعالنا ليست وليدة خوفٍ ورهبةٍ بل تجسيد طبيعي لما يدور في قلوبنا، وتصرفاتنا لا تحكمها أية شريعة أخرى إلاّ شريعة المحبة. فلنحيا في الميلاد، في المحبة، وهكذا نكون حيينا باتحاد مع الله.

القديس البار بورفيريوس الرائي

أعلن المجمع المقدس للبطريركية المسكونية الأرثوذكسية المنعقد برئاسة قداسة البطريرك برثلماوس الأول في دورته العادية في السابع والعشرين من تشرين الثاني ٢٠١٣، موافقته على اقتراح اللجنة القانونية للمجمع المقدس على إدراج إسمي أبينا البار بورفيريوس الرائي من كافسوكاليفيا وأبينا البار ملاتيوس من Ypseni (رودس) ضمن لائحة القديسين في الكنيسة الأرثوذكسية ليُصار طلب شفاعاتهما أمام الرب يسوع مخلّص العالم.

عيد الميلاد

بمناسبة عيد ميلاد ربنا يسوع المسيح بالجسد تقام خدمة صلاة السَحَر عند التاسعة والقداس الإلهي عند العاشرة من صباح الأربعاء ٢٥ كانون الأول في كاتدرائية القديس جاورجيوس في ساحة النجمة برئاسة سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس.

ويعتذر سيادته عن عدم استقبال المهنئ ين بالعيد نظراً للظروف الأليمة التي ما زالت تعيشها بطريركيتنا الانطاكية من استمرار خطف المطرانين بولس ويوحنا إلى خطف راهبات معلولا وتشرد المؤمنين.

مطلوب محاسب

تطلب مدرسة البشارة الأرثوذكسية محاسباً بدوام كامل مع خبرة ٥ سنوات. للمراجعة الاتصال بمكتب شؤون الموظفين ٠١/٥٦٦٨٥٠ مقسم ١٥٢٤